البيان المفيد
في علم التوحيد

وهو مختصر شرح الخريدة للإمام الدردير

وفق المنهج المقرر على الصف الأول الاعدادى

بالمعاهد الدينية الأزهرية

تأليف

الدكتور أحمد حجازي السقا

الجزء الأول

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

محمد محمد إمبابي

ت: ٥١٢٠٨٤٧

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل : الحمد لله »
وسلام على الذين اصطفى .

الله خير أم ما يشركون ؟ أم من خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق . ذات بهجة . ما كان لكم أن تنبتوا شجرها . أاله مع الله بل هم قوم يعدلون . أم من جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها انهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله ؟ بل اكثرهم لا يعلمون . أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أاله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ؟ أاله مع الله ؟ تعالى الله عن ما يشركون . أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أاله مع الله ؟ .

قل : (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) .

قل : (لا يعلم من فى السموات والأرض . الغيب الا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون) (النمل ٥٩ – ٦٥) .

المنهج المقرر من علم التوحيد للصف الأول الاعدادى

درس واحد فى الأسبوع

أولا — الالهيات :

١ — ما يجب لله تعالى من الصفات ، مع الاستدلال على كل اثبات كل صفة لله تعالى بالدليل النقلى من الكتاب والسنة .

٢ — ما يستحيل على الله تعالى .

٣ — ما يجوز فى حق الله تعالى .

ثانيا — النبوات :

١ — الفرق بين النبى والرسول .

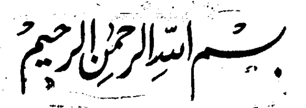
٢ — عدد الرسل الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم .

٣ — أولو العزم من الرسل .

٤ — ما يجب للرسل وما يجوز عليهم وما يستحيل فى حقهم من الصفات .

٥ — اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

٦ — بيان أن دين الاسلام دين عام لجميع أمم الأرض الى يوم القيامة .



مقدمة الكتاب

الحمد لله الملهم للصواب . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب . وعلى آله وأصحابه الكرام . والتابعين ، ومن تبعهم باحسان على الدوام .

وبعد

فان علم التوحيد . ويسمى أيضا بعلم الكلام يبحث عن :

١ ــ الالهيات ٢ ــ والنبوات ٣ ــ والسمعيات .

ففى الالهيات : ما يجب لله تعالى من الصفات ، واقامة الأدلة النقلية والعقلية على أن الله هو الخالق للعالم وحده . وفى النبوات : ما يجب للرسل وما يجوز عليهم وما يستحيل فى حقهم من الصفات . وأن الله يصطفيهم من الناس ليبلغوا للناس كلامه ، وأنه يؤيدهم بالمعجزات أى الأمور الخارقة للعادات . وفى السمعيات : الأدلة النقلية والعقلية على أن الله يحيى الموتى ويبعث من فى القبور . ويجازى كل واحد على حسب أعماله .

والآن المبتدىء فى طلب العلم ، سواء كان صغير السن أو كبير السن يناسبه العلم على قدر عقله ، كان هذا الكتاب فاتحة خير لمن يريد أن يكون فى عداد العلماء .

(وفوق كل ذى علم عليم) .

وقد وضعناه على نظام المنهج المقرر ، وتوخينا فيه سهولة العبارة مع تمام المعنى المراد بيانه .

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

د. أحمد حجازى أحمد السقا

١٩٨٩/٢/٢٥ م

مقـــدمات

المقـــدمة الأولى :

١ ــ فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، خرج عليه جماعة ممن كانوا معه ، وأرادوا محاربته ، فحاربهم وانتصر عليهم . ولقبهم بالبغاة على أمير المؤمنين الذى ثبتت امارته عليهم ببيعة أهل الحـــل والعقد له من أهل « المدينة المنورة » وهؤلاء الخـــوارج كانوا يتكلمون فى مسائل علم التوحيد على القرآن الكريم . ولا يستدلون بالأحاديث النبوية ، لا فى العقائد الاسلامية ولا فى الشرائع .

٢ ــ وفى السنة المـــائة من الهجرة ــ على جهة التقريب ــ فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ظهرت جماعة المعتزلة ولقبوا أنفسهم بأهل التوحيد والعدل . وتكلموا فى العقائد الاسلامية على ضـــوء القرآن الكريم بمحكمة ومتشابهة ، ولم يأخذوا بالأحاديث النبوية فى العقائد ، وانما أخذوا بها فى فقه العبادات والمعاملات .

٣ ــ وفى خلافة « المتوكل على الله » أمير المؤمنين رضى الله عنـــه ، قام أهل الحديث فى المساجد والمدارس بشرح العقائد الاسلامية على ضوء القرآن والسنة ، على خلاف الخوارج والمعتزلة الذين شرحوا على ضـــوء القرآن وحده .

٤ ــ وكان الامام أبو الحسن الأشعرى رضى الله عنه معتزليا من تلاميذ « الجبـــائى » المعتزلى ورأى أن مذهب المعتزلة لا ينفع فى هداية المسلمين جميعا . فلذلك انتصر لأهل الحـــديث ووضع علم التوحيـــد على القرآن والسنة . وتلقاه المسلمون بالقبول . وصار هو المذهب الرسمى فى « مصر » من أيام الدولة الأيوبية فى القرن السادس الهجرى .

٥ ــ والأزهر يدرس المذهب الأشعرى للطلاب .

فأنت أيها الطالب النجيب أشعرى العقيدة على الكتاب والسنة .

المقـــدمة الثانية :

قال الله تعالى : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات . هن ام الكتاب . واخـــر متشابهات . فاما الذين فى قلوبهم زيغ ، فيتبعون ما تشـــابه منـــه . ابتغاء الفتنة وابتغـــاء تاويله . وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم .

يقولون : آمنا به . كل من عند ربنا . وما يذكر الا أولو الألباب) .

ولا يعرف العلماء الراسخون فى العلم مسائل علم التوحيـــد ، الا بمعرفة المحكم والمتشابه . والمحكم : هو النص الذى له تفسير واحد ، يفهمه العامى والعالم . مثل قوله تعالى : (هو الله أحد) فالعامى والعالم يفهمان من هذا القول الكريم : أن رب العالمين الذى هو الله : واحد ، وليس اثنان كما كان يقول المجوس ، وليس ثلاثة كما يقول النصارى . والمتشابه : هو النص الذى له تفسيران اثنان : أحدهما على الحقيقة . وثانيهما على المجاز . مثل قوله تعالى : (أم الكتاب) فالأم على الحقيقة : هى الأصل لوجـــود الطفل ومنها خرج . وقد أطلق الله تعالى على الآيات المحكمات لقب (أم) لشبهها بالأم . فى أنها الأصل ، الذى يرد اليـــه المتشـــابه ، ليعرف مراد الله به .

فلفظ « أم » ههنا لفظ متشابه يحتمل معنيين : أولهما : الأم الوالدة . وثانيهما : أصل الشىء . والمراد منه ههنا : أصل الشىء . لأن الآية لا تلد كما تلد الأنثى . وقـــد بين الله تعالى : أن الراســـخين فى العـــلم يعلمون التأويل . أى التفسير . وأما العوام فيفوضون ويسلمون الأمور الى الله :

(يقولون : آمنا به . كل من عند ربنا) .

وهذا مثال لمعرفة المتشابه بالمحكم :

قوله تعالى : (ليس كمثله شىء) نص محكم . وقوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) نص متشابه . يحتمل اما أن اليـــد هى اليد الجسمية الجارحة لله عز وجل . واما أن اليد هى كناية عن قدرة الله تعالى . والمتفق مع المحكم **هو القدرة . فيكون مراد الله تعالى من (يد الله فوق أيديهم) هو : أن قدرة الله فوق قدرة الناس . وذلك لأن النص المحكم ينفى الجسمية عن الله عز وجـــل .**

المقـدمة الثالثة :

اللفظ اما أن يستعمل على الحقيقة ، واما أن يستعمل على المجاز . ولا يعرف العلماء الراسخون في العلم مسائل علم التوحيد الا بمعرفة الحقيقة والمجاز . لأن به يعرف المحكم والمتشابه . فلو قلت : رأيت أسدا في الغابة . فلفظ « الأســد » يكون حقيقة دالا على الحيوان المفترس . واذا أردت أن تصف رجلا بالشجاعة ، فانك تستعير لفظ الأسد — الموضــوع في العرف للحيوان المفترس — من الأسد ، وتضعه على الرجل الشجاع . فتقول : رأيت أسدا في منزلنا . فلفظ « الأسد » في المنزل : هو لفظ مستعار من الأســد الحقيقي للرجل الشــجاع . أي جزت به الى معنى آخــر ، من موضـــعه الأصلي . كما تأخذ حجــرا من مكان وتحمله وتجتاز به النهر لتضعه في مكان آخــر .

ومثل ذلك : قوله عليه الصلاة والسلام : « الخلق عيال الله عز وجل ، فأحبهم اليه ، أنفعهم لعياله » .

فلفظ « عيال » على الحقيقة : هم أولاد الرجل الذين يعولهم وينفق عليهم . ولفظ « عيال » على المجاز : هم الناس . والمراد من « الخلق عيال الله » : أن الناس في كنف الله وفي رعايته .

ففي كتاب المجــازات النبوية : « وهذا القول مجــاز . لأن عيـــال الانسان من يعوله ثقلهم ، ويهمه أمرهم . والله سبحانه وتعالى لا تؤوده الأثقال ، ولا تهمه الأحوال . ولكنه سبحانه وتعالى لمــا كان متكفلا بمصالح عباده ، يدر عليهم جلب الأرزاق ويلم لهم شعث الأحــوال ، ويعود عليهم بمرافق الأبدان ، ومراشد الأديان ، شبهوا من هذه الوجوه بالعيال . الذين في ضمان العائل ، وكفاية الكافل . على طريق الاتساع ، وعلى معــارف العادات »(١) .

---

(١) ص ١٦٥ المجازات النبوية — طبعة الحلبي بالقاهرة .

المقــدمة الرابعة :

اذا أردت أن تقنع انسانا بشىء . هو لا يراه بعينه ، ولا يلمسه بيده . فانه يتحتم عليك ايراد دليل قوى اما أن يكون عقليا . واما أن يكون سمعيا — أى منقولا من الكتب المعظمة .

ومسائل علم التوحيد ، نقنع بها الناس بدليل العقل وبدليل السمع . أى الدليل المنقول من الكتاب ، والسنة الصحيحة المفسرة للكتاب .

ومثال ذلك : لو أردنا اقناع انسان بأن الله موجود . فاننا نقول له :

الدليل من العقل على أن الله موجود : هو ان كل صنعة لابد لها من صانع ، وهذا العالم المحسوس الذى نرى فيه الابل قد خلقت ، والســـماء قد رفعت ، والجبال قد نصبت ، والأرض قد سطحت . لابد له من صـــانع صنعه ، ولا يمكن أن يكون الصانع الا واحدا . فهذا العالم المحسوس قد صنعه صانع هو الله رب العالمين . وهذا هو دليل العقل .

وأما دليـــل النقل : فهو أن الله تعـــالى يقـــول فى القرآن الكريم :

(يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم . هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟ لا اله الا هو . فأنى تؤفكون ؟)(١) .

ولقد كان الله ولا شىء معه . ثم خلق الخلق . فالخلق غير الله . وهو عالمه الذى أحدثه بقدرته ، وأوجده بارادته . والعالم حادث . والله قديم . لأنه كان قبل وجود العالم . والعالم : هو السماء والأرض وما بينهما وما خلقه الله فيها . وكل ما أوجده من العدم بقوله : (كن . فيكون) .

---

(١) فاطر : ٣

خالق العالم هو الله رب العالمين ، الذى :
(لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير) .
والدليل على وجوده :

سئل جعفر الصادق عن وجود الله فقال : شاهدنا قلعـــة حصـــينة ملساء ظاهرها كالفضة المسبوكة ، وباطنها مملوء من الذهب المذاب والفضة المذابة ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير . فلابد من مدبر يدبره ، وصانع يخلقه . وعنى بالقلعـــة : البيضة ، وبالحيوان : الفـــرخ .

وسأل هرون الرشيد مالكا عن ذلك ، فاستدل باختـــلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات ، وهو مأخوذ من القرآن . فى قوله تعالى : (واختلاف السنتكم والوانكم) .

وســـئل أبو نواس عن وجود الله ، فقال :

تأمل فى نبات الأرض . وانظر الى آثار ما صـــنع المليـــك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليـــس لـــه شـــريك

وسئل أعرابى عن الدليل على وجود الله . فقـــال : البعرة تدل على البعير والروث على الحمير . وآثار الأقدام على المسير . فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج . أما تدل على العليم القدير ؟

وروى : أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر بن محمد الصادق . فقال جعفر : ما حرفتك ؟ فقال : التجارة . فقال : هل ركبت البحر ؟ قال : نعم ، قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : نعم ، هاجت فى بعض الأيام رياح هائلة ، فكسرت السفن وغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواح السفينة ، ثم ذهب ذلك اللوح عنى ، حتى اندفعت الى الساحل . فقال جعفر : منذ كان اعتمادك من قبل على السفينة والمـــلاح وعلى اللوح ، فلما ذهبت هـــذه الأشياء عنك ، هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو النجاة ؟ فقال : بل كنت أرجو النجاة . قال : ممن ترجوها ؟ فسكت الرجل . فقال جعفر : ان الهك هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت ، ونجاك من الغرق وأوصلك الى الســـلامة .

الواجب لله تعالى

يجب الله — تعالى — على سبيل التفصيل صفات حسنة هى الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر — والكلام .

ويجب لله تعالى اجمالا : كل كمال يليق بذاته المقدسة .

اولا : الواجب لله تعالى اجمالا

ويجب لله تعالى اجمالا : كل كمال يليق بذاته المقدسة .

(أ) والدليل العقلى على ان كل كمال يليق بذاته الله تعالى هو واجب له :

أنه لو لم يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته ، لجاز اتصافه تعالى بشىء من النقائص . ولو جاز اتصافه بشىء منها ، لكان عاجزا عن دفع النقائص عنه ، فلا يكون تعالى الها خالقا للعالم . وكونه تعالى كذلك باطل ، فبطل ما أدى اليه . وهو جواز اتصافه تعالى بشىء من النقائص ، ووجب له تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة .

(ب) والدليل النقلى على ان كل كمال يليق بذات الله تعالى هو واجب له :

قوله تعالى (وهو الله الذى لا اله الا هو . عالم الغيب والشهادة . هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور . له الأسماء الحسنى . يسبح له ما فى السموات والأرض . وهو العزيز الحكيم) .

ومعنى (القدوس) : المنزه عن كل نقص .

ثانيا : الواجب لله تعالى تفصيلا

يجب لله تعالى على سبيل التفصيل فى مذهب الأشاعرة عشرون صفة هى :

١ — الوجود .	٢ — والقدم .
٣ — والبقاء .	٤ — والمخالفة للحوادث .

ج ١ ص ٢٤٠ — ٢٤١ المطالب العالية من العلم الالهى — لشيخ الاسلام فخر الدين الرازى .

٥ ـ والقيام بالنفس	٦ ـ والوحدانية
٧ ـ والقدرة	٨ ـ والارادة
٩ ـ والعلم	١٠ ـ والحياة
١١ ـ والسمع	١٢ ـ والبصر
١٣ ـ والكلام	

وهؤلاء الثلاثة عشر على مذهب الامام الأشعرى . وزاد شيخ الاسلام محمد بن عمر بن الحسين ، الملقب بفخر الدين الرازى على هذه الصفات :

١٤ ـ كونه قادرا	١٥ ـ كونه مريدا
١٦ ـ كونه عالما	١٧ ـ كونه حيا
١٨ ـ كونه سميعا	١٩ ـ كونه بصيرا
٢٠ ـ كونه متكلما	

وسنتحدث الآن عن بعض هذه الصفات ، من حيث تعريف الصفة واقامة الدليل العقلى والنقلى عليها .

١ ـ صفة الوجود

تعريف صفة الوجود(١) : هى صفة ثبوتية . يدل الوصف بها على نفس الذات ، دون معنى زائد على الذات .

شرح التعريف : لو قلنا : « زيد عالم ، وعمرو ليس بعالم » فان صفة « العلم » تكون زائدة على ذات « زيد » وتكون مفقودة فى « عمرو » ومع ان « الصفة » زائدة . لا نراها منفصلة عن جسم « زيد » اى ليست الصفة حجما او جسما . وانما هى امر اعتبارى ، قد امتاز به « زيد » عن « عمرو » .

ولو انك قلت : « زيد موجود وعمرو موجود » فان صفة الوجود

---

(١) ضد الوجود : العدم .

مشتركة بين « زيد » و « عمرو » ولا يمتاز بها « زيد » عن (عمرو) ولا « عمرو » عن « زيد » .

وبعد هذه المقدمة نقول : ان لفظ « موجود » الذى وقع صفة لله تعالى فى قولنا : « الله موجود » لا يدل على معنى زائد على ذات الله تعالى ، وانما يدل على ذات الله المتحققة الثابتة .

بخلاف صفة القدرة أو صفة العلم . فان القدرة غير الذات والعلم غير الذات ، وهما قائمان بذات الله تعالى . مع عدم انفكاكهما عن الذات .

واعلم : ان اثبات وجود الله شىء . واثبات صـــفة « الوجود » لله شىء آخـــر .

١ ــ اثبات وجود الله :

الدليل على ان الله تعالى موجود . اما أن يكون بالعقل ، واما أن يكون بالنقل .

(أ) فالدليل العقلى على وجود الله تعالى :

هو ان الكائنات العلوية وهى السماء وما فيها ، والكائنات السفلية وهى الأرض وما عليها . هذه الكائنات قد وجدت بعد عدم . والموجود ، يلزم له موجد قد أوجده . كما أن الصنعة يلزم لها صـــانعا قد صـــنعها . فالكرسى ــ مثلا ــ لم يصنع نفسه . وقد دلتنا صنعته على صانعه الذى هو النجار . وان كنا لم نره حال الصناعة .

(ب) والدليل النقلى على وجود الله تعالى :

قوله تعالى : (وخلق كل شىء . فقدره تقديرا) .

وضد الوجود : العدم . والعدم مستحيل على الله تعالى .

٢ ــ اثبات صفة « الوجود » لله تعالى :

أن الله تعالى قد ثبتت له صفة الحياة ، وثبت له الوجود . والكائنات لا تتحرك بارادتها . وانما تتحرك بارادة الله وحده . فهى محتاجة الى الله .

ومن ثبتت حياته ، وثبت وجوده ، وثبت احتياج العالم اليه ، فانه لا يكون من جملة الكائنات ، فيكون وجوده لذاته . ومن كان وجوده لذاته ، فانه يجب له الوجود . فالله تعالى يجب له الوجود(١) .

(ب) والدليل النقلي على اثبات صفة الوجود لله تعالى :

قوله تعالى : (هو الحى . لا اله الا هو . فادعوه ، مخلصين له الدين . الحمد لله رب العالمين) .

٢ ــ صــفة القــدم

قدم(٢) الله تعالى معناه : « عدم اولية وجوده تعالى » فوجود الله تعالى لا أول له ، فلم يسبق بعدم .

(أ) الدليل العقلي على اثبات صفة الوجود لله تعالى :

أن الله تعالى قد ثبت له « وجــوب الوجود » ومن ثبت له وجــوب الوجود ، فقد ثبت له وجوب القدم . فالله تعالى قد ثبت له وجوب القدم ، واستحال عليه الحدوث .

(ب) والدليل النقلي على ثبوت صفة القدم لله تعالى :

قوله تعالى : (هو الأول والآخر) وضد القدم : الحــدوث . وهو مستحيل على الله تعالى .

---

(١) الأشاعرة قاسوا الغائب ــ وهو الله ــ على الشــاهد ــ وهو الانســان ــ فى زيادة الصفات . فان امتياز « زيد » بالعلم عن « عمرو » : معلوم بالمشاهدة . وأما المعتزلة فقد منعوا زيادة الصــفات عن الذات . وقالوا : الصفات فى الذات . وردوا على الأشاعرة بقولهم : انما ميزنا زيدا عن عمرو بالصــفة ، لأن زيدا وعمروا متســاويان فى البشرية . وليس لله شريك فى الملك ، حتى نقارن الله به ، ثم نميزه عليه بالصفات . ثم تطرق الأمر الى أن قالوا لهم : أن زيادة الصفات ــ والصفات قديمة قــدم الله ــ يلزم عليه القول بتعدد القــدماء . والحال : أن القــديم واحــد . وهو الله تعالى .

(٢) ضد القدم : الحدوث .

٣ ـ صفة البقاء

بقاء(١) الله معناه : « عدم آخرية الوجود » فوجود الله تعالى لا آخر له ، فلا يلحقه عدم .

(أ) والدليل العقلى على اثبات صفة البقاء لله تعالى :

ان الله قد ثبت له وجوب الوجود والقدم ، ومن ثبت له وجوب الوجود والقدم ، ثبت له وجوب البقاء واستحال عليه الفناء .

(ب) والدليل النقلى :

قوله تعالى : (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) والمراد بالوجه : ذات الله تعالى ، وعبر الوجه ـ على سبيل المجاز ـ لانه قد استقر فى اذهان الناس : ان الوجه هو اشرف الأعضاء . فعبر الله عن نفسه بلغة الناس ، ليقدروا على تصور ذاته . أما هو عز وجل فـ (ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير) .

٤ ـ صفة مخالفة الله للحوادث

مخالفة الله للحوادث . معناها : عدم(٢) مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث ، فى الذات والصفات . فذاته تعالى ليست كذوات الحوادث ، وصفاته ليست كصفاتها . فالله تعالى ليس جسما ، ولا حالا فى جسم . وليس له مكان وجهة ، بل هو يعلمه فى كل مكان .

والدليل النقلى على ان الله فى كل مكان بعلمه ، لا بذاته :

قوله تعالى : (ليس كمثله شىء) وقوله تعالى : (هل تعلم له سميا) ؟ أى : مثلا . وقوله تعالى : (ولم يكن له كفوا احد) أى : ولم يكن له شبيها ومثلا .

(أ) والدليل النقلى على ان الله ليس جسما :

قوله تعالى : (وهو معكم اينما كنتم) وقوله تعالى : (ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) أى معهم بالنصر والتأييد .

---

(١) ضد البقاء : الفناء .
(٢) ضد المخالفة للحوادث : المماثلة لها .

(ب) والدليل العقلي على وجوب مخالفة الله للحوادث :

أنه تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث في ذاته وصفاته ، لكان تعالى مماثلا لها . فيكون تعالى حادثا . وكونه تعالى حادثا باطل . لأنه وجوب قدمه ، فاستحالت عليه المماثلة للحوادث ، ووجبت له المخالفة لها .

تأويل الصــفات

ظهر مذهب أهل الحــديث في العقــائد الاســلامية من بعــد عصر « المتوكل على الله » أمير المؤمنين رضي الله عنــه . وأهل الحديث انقسموا الى طائفتين في الصفات الخبرية أي التي ورد بها الخبر عن الله تعالى في القرآن أو في الحديث . مثل (يد الله فوق أيديهم) فطائفة تسلم بظــاهر اللفظ ، فتثبت لله يدا ، وتقول : ولكنها ليست كأيادي المخلوقين ، لقــوله تعالى : (ليس كمثله شيء) وهذه الطائفة تسمى بطائفة السلف . ومنهــم الامام أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن قيم الجوزية وأتباع محمد بن عبد الوهاب في « المملكة العربية السعودية » وطائفة لا تسلم بظاهر اللفظ في اليــد وغيرها — تؤول اليد بالقدرة . لئلا تثبت جسما لله عز وجل . والتــأويل هو الصحيح . وقد بينا طريقته في كلامنا عن « المحكم والمتشابه » ونذكر هنا نص الكتاب المقرر ، ليحفظ في الذاكرة .

يقول صاحب الكتاب : « وما ورد من النصوص التي يوهم ظاهرها مشابهة الله — تعالى — للحوادث ، فمؤول ، ومصروف عن ظاهره ، ومحمول على معنى يليق بذاته — تعالى — فيحمل اليد في قوله — تعالى — : (يد الله فوق أيديهم) على القدرة ، ويحمل الوجه في (ويبقى وجه ربك) على الذات ، ويحمل الاستواء في (الرحمن على العرش استوى) على الاستيلاء والملك ، فمعنى استوى على العرش : استولى عليه وملكه . وجــاء في قوله — تعالى — : (وجاء ربك والملك صفا صفا) مسند في الحقيقة الى فاعل محــذوف . وهو أمر أو ملك ، والمعنى : وجــاء أمر ربك . أو ملك ربك »(1) أ . هـ .

---

(1) المؤلف أول كل صفة على حدة . والتأويل الاجمالي لجميع الآيات الموهمة للجسمية هو : ان الله تعالى يكلم البشر على قدر عقولهم . فانهم قد تعودوا على رؤية الملوك مستوين على العروش . ويأمرون وينهون . فكلم الله النــاس عن نفســه بمثل ما يألفون عن ملوكهم — على ســبيل المشــاكلة .

٥ ـ صفة القيام بالنفس

قيام الله تعالى بنفسه معناه : عدم(١) احتياجه تعالى الى ذات يقوم بها ، او الى موجد يوجده تعالى . اى ليس الله صفة مجردة عن ذات ، حتى يحتاج الى ذات ، تحل فيها الصفة ، وليس الله حادثا ، حتى يحتاج الى اله يوجده .

(أ) والدليل العقلى على اثبات صفة القيام بالنفس لله تعالى :

من جهتين : اولهما : جهة انه ليس صفة مجردة عن ذات . وثانيهما : جهة انه ليس حادثا حتى يحتاج الى محدث .

فمن الجهة الاولى : نقول : ان الله تعالى ليس صفة مجردة عن ذات . لانه لو كان صفة مجردة ، لما اتصف بالصفات الثبوتية من نحو القدرة وغيرها . اذ القدرة يلزمها ذات . لانها بدون الذات لا تفعل شيئا . واذ ثبت وجوب اتصافه بالقدرة وغيرها ، فانه لا يكون صفة مجردة عن ذات . ومن الجهة الثانية : نقول : ان الله ليس حادثا ، كالمحدثات من الشمس والتمر وغيرها ، لانه قد ثبت له وجوب القدم ، ومن ثبت له وجوب القدم ، فانه يستحيل عليه الحدوث .

واذا بطل . كون الله صفة مجردة عن ذات ، وبطل كونه حادثا ، فانه يبطل عدم قيامه بنفسه ، ويجب له تعالى صفة القيام بالنفس .

(ب) والدليل النقلى على اثبات صفة القيام بالنفس لله تعالى :

قوله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله . والله هو الغنى الحميد) .

٦ ـ صفة الوحدانية

وحدانية الله تعالى معناها : عدم التعدد(١) فى الذات والصفات والافعال .

ومعنى واحد فى ذاته : ان ذاته غير مركبة من اجزاء . اذ لو كانت

---

(١) ضد القيام بالنفس : الاحتياج الى الغير .
(١) ضد الوحدانية : التعدد .

الذات متركبة من أجزاء ، لكانت الذات محتـاجة فى تحققها الى مجـموع أجزائها . والاحتياج دليل الحدوث . والحدوث على الله محال ، فتركيب ذاته من أجزاء محال .

ومعنى واحد فى صفاته :

أى ان كل صـفة من صـفات الله واحـدة . اى ليس له صـفتان أو أكثر من نوع واحـد ، كقدرتين وارادتين ، لأن كل صفة هى كاملة الى ما لا نهـاية فوق من الكمال . وليس لغير الله صـفات تشبه صـفات الله تعالى . اذ لو كان لغير الله صفات تشبه صفاته ، لكان ذلك الغير مساويا لله فى الألوهية . وقد قام البرهان على أن الله واحد . وليس كمثله شىء .

ومعنى واحد فى أفعاله :

أن جميع الكائنات مخلوقة بقدرة الله وحدها . وليس لغيره فعل من الأفعـال .

(أ) والدليل العقلى على أن الله واحد :

هو أنه لو وجد فى العالم الهان . لأمكن الخـلاف بينهما . كأن يريد احدهما وجود شىء ، ويريد الآخر عدم وجوده . فان نفذ مراديهما معا ، لزم تعدد الألهية . وبغى أحدهما على الآخر ، ولزم اجتماع النقيضين . وهو وجود ذلك الشىء وعدم وجوده . واجتماع النقيضين باطل . وان لم ينفذ مراديهما معا ، لزم عجزهما . فلا توجد هـذه الكائنات . وعدم وجودها : باطـل بالمشاهدة . وان نفذ مراد أحدهما وعجز الثانى ، كان من نفذ مراده هو الاله دون من عجز . فيكون من نفذ مراده هو الاله لا غيره . واذا بطل تعدد الآلهة ، وجب اتصاف الله تعالى بالوحدانية .

(ب) والدليل النقلى على أن الله واحد :

هو قوله تعالى : (قل : هو الله أحد) .

صـفات المعـانى

صفات المعـانى هى : ١ ــ القـدرة ٢ ــ والارادة ٣ ــ والعـلم ٤ ــ والسمع ٥ ــ والبصر ٦ ــ والحياة ٧ ــ والكلام ...

وصــفات المعانى : هى كل صفة موجودة قائمة بموجود ، أوجبت له حكما . فكون « القدرة » — مثلا — قائمة بالذات ، تســتلزم كون الذات قادرة . وهكذا فى سائر الصفات .

١ — القـــدرة

هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها الممكنات أو يعدمها على وفق علمه تعالى وارادته .

(أ) والدليل العقلى على ثبوت القدرة لله تعالى :

هو انه وحــده هو الخـــالق لجــميع الكائنـــات والخـــالق لا يكون الا قادرا . .

(ب) والدليل النقلى على ثبوت القدرة لله تعالى :

قوله تعالى : (ان الله على كل شىء قدير) .

٢ — الارادة

ارادة الله تعالى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعـــالى ، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة .

والممكن هو الشىء الذى يكون أو لا يكون . فالله وحــده يخصص بارادته الممكن بالوجود بدل العدم أو بالعكس . أى لو شـــاء أن يوجــد لأوجد ، وان شاء أن يعدم لأعدم .

(أ) والدليل العقلى على ثبوت صفة الارادة لله تعالى :

انه ثبت بالأدلة القاطعة أن موجد الكائنات هو الله وحــده ، وثبت انه قادر . ومن كان قادرا فانه يكون مريدا . لأن الارادة لايجاد الشىء ، تكون قبل ايجاد الشىء بالقدرة .

(ب) والدليل النقلى على ثبوت صفة الارادة لله تعالى :

قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) .

٣ ــ العــــلم

علم الله تعالى : صفة وجودية قديمة بذاته تعالى يتأتى بها انكشاف جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، انكشافا تاما دون سبق خفــاء أو جهل .

(أ) والدليل العقلى على ثبوت صفة العلم لله تعالى :

هو أن نظام العالم محكم ومتقن . والعالم حادث . والاحكام والاتقان فى العالم يدلان على أن خالق العالم عالم ..

(ب) والدليل النقلى على ثبوت صفة العلم لله تعالى :

قوله تعالى : (ان الله بكل شىء عليم) .

٤ ــ السـمع

سمع الله تعالى : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى . يتأتى بها انكشاف جميع الموجودات ، انكشافا تاما يغاير الانكشاف بصفتى العـــلم والبصر .

(أ) والدليل العقلى على ثبوت صفة السمع لله تعالى :

هو أن الاتصاف بالسمع كمال . وكل كمال واجب لله . فالله يجب لـــه الاتصاف بالسمع .

(ب) والدليل النقلى على ثبوت صفة السمع لله تعالى :

قوله تعالى : (وهو السميع البصير) .

٥ ــ البصــر

بصر الله تعالى : هو صفة وجودية قديمة قائمة بذات الله تعالى يتأتى بها انكشاف جميع الموجودات ، انكشافا تاما ، يغـــاير الانكشاف بصفتى العــلم والسمع .

(أ) والدليل العقلى على وجوب صفة البصر لله تعالى :

هو أن الاتصاف بصفة البصر كمال . وكل كمال هو واجب لله تعالى . ولو لم يتصف بها ، لاتصف بضــــدها . وضـــدها : نقص . والنقص على الله تعالى محال .

(ب) والدليل النقلى على وجوب صفة البصر لله تعالى :

قوله تعالى : (ان الله سميع بصير) .

٦ ــ الحيـــاة

حيـــاة الله تعالى : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، تقتضى صحة الاتصاف بنحو العلم والارادة والسمع .

(أ) والدليل العقلى على ثبوت صفة الحياة لله تعالى :

أنه ثبت أن الله تعالى متصف بالعلم والسمع والبصر والكلام . ولا يتصف بهذه الصفات الا من أتصف بصفة الحياة .

(ب) والدليل النقلى على ثبوت صفة الحياة لله تعالى :

قوله تعالى : (وتوكل على الحى الذى لا يموت) .

٧ ــ الـــكلام

١ ـــ اعلم : ان حقيقة الكلام هى الحـــروف الصـــادرة من الفـــم باصوات وحركات .

شرح التعريف :

(أ) والدليل العقلى على ثبوت صفة الكلام النفسى لله تعالى :

وهذا مستحيل على الله تعالى ، لانه ليس جسما حتى تصـــدر منـــه الحروف . واذا اطلق الاشاعرة على الله صـــفة الكلام ، فهم لا يعنون به حقيقة الكلام . وانمـــا يعنون به لفظ الكلام على المجـــاز ، وهو : الكلام النفسى الذى عبر الله عنه ــ على أقوام ــ بقوله : (ويقولون فى أنفسهم) اى يرتبون ويهيئون كلاما يقولون فيها بعد ، ولمـــا ينطقوا به .

والمعتزلة والاشاعرة يفسرون قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) بأن المراد : هو أنه اعطاه شريعة فى مقابل من أنكر رسالته وجحد نبوته ، وقال : (ما أنـــزل الله على بشر من شىء) ولا يفسرون (وكلم الله موسى تكليما) على معنى انه كلمه بحرف وصوت . لأن ذلك يستلزم الجهـــة والجسمية . وهما محالان على الله تعالى .

٢ — واعلم : أن الله تعالى تكلم فى الأزل بكل شىء يحدث فى العــالم الى يوم القيامة . وكتب فى اللوح المحفوظ كل شىء حتى أن ما يفعله أى انســان الآن هو مقــدر عليــه فى اللوح المحفوظ . وقــد تكلم الله — فى الأزل — بمــا ســيفعله هــذا الانســان . والنهى عن المحــرمات من السرقة وغيرها ، والأمر بالمباحات من المطعومات وغيرها ، والأمر بالعبادات من الصلاة وغيرها . كل ذلك قد تكلم الله به فى الأزل .

والمعتزلة يخالفون الأشاعرة فى صــفة الكلام . ويقولون : ان الله قد خلق الانسان حــرا ، ولم يقدر عليه فى الأزل أى شىء ، من خير أو من شر وأنه يتكلم فى أى وقت يريد . فقد كلم موسى ثم كلم داود ومن بعده عيسى ، ومحمد — عليهم السلام — : (اذا أراد شيئا فانما يقول له : كن . فيكون) والقرآن على رأى السلف والأشــاعرة قــديم ، وعلى رأى المعتزلة هو محــدث .

هو أن الاتصاف بصفة الكلام ، كمال . وكل كمال واجب لله فالله يجب له الكلام . وأيضا : لو لم يتصف الله بالكلام ، لاتصف بضــده ، وضــده نقص . والنقص على الله محال .

(ب) والدليل النقلى على ثبوت صفة الكلام النفسى لله تعالى :

قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) .

المستحيل على الله تعالى فى الصفات اجمالا وتفصيلا . ودليــل الاستحالة

يستحيل على الله تعالى اجمالا : كل نقص .

ويستحيل على الله تعالى تفصيلا : ١ — العــــدم ٢ — والحــدوث ٣ — والفنــاء ٤ — والمماثلة للحوادث ٥ — وعدم القيام بالنفس ٦ — التعدد ٧ — والعجــز ٨ — والكراهيــة — بمعنى أنه مقهور — ٩ — والجــهل ١٠ — والموت ١١ — والصمم ١٢ — والعمى ١٣ — والبكم .

(أ) والدليل العقلى على استحالة هذه الصفات على الله تعالى :

انها نقائص تنافى جلال الألوهية ومقــام الربوبية . والنقص على الله محــال .

(ب) والدليل النقلى على استحالة هذه الصفات على الله تعالى :

قوله تعالى : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) .

الجائز فى حق الله تعالى
ودليــل الجــواز

يجوز فى حق الله تعالى : فعل كل ممكن وتركه . كالايجاد والاعدام ، والاسعاد والاشقاء ، والاعطاء والمنع .

(أ) والدليل العقلى على ان فعل كل ممكن وتركه جائز على الله تعالى :

هو ان الله قد وجب اتصافه بالقدرة والارادة والعــلم والوحدانية . وثبت له الاختيار المطلق فى جميع شــئونه . ومن ثبت له كل هذا فانه يجوز منه فعل كل ممكن وتركه .

(ب) والدليل النقلى على أن فعل كل ممكن وتركه جائز على الله تعالى :

قوله تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقوله عليه الصــلاة والسلام : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » .

أسـئلة

١ — فى ماذا يبحث علم التوحيد ؟

٢ — ما هى مميزات المذهب الأشعرى عن من سبقه من المذاهب ؟

٣ — ما معنى المحكم ؟ وما معنى المتشابه ؟

٤ — ما معنى اللفظ على التأويل ؟ وما معنى اللفظ على الحقيقة ؟

٥ — ما معنى الدليل النقلى ؟ وما معنى الدليل العقلى ؟

٦ — اذكر أدلة عقلية على وجود الله تعالى ؟

٧ — ما عدد الصفات الواجبة لله تعالى على سبيل التفصيل ؟

٨ — ما الواجب لله تعالى من الصفات على سبيل الاجمال ؟

٩ — اذكر الدليل العقلى على أن كل كمال يليق بذات الله تعالى هو واجب له ؟

١٠ — اذكر الدليل النقلى على أن كل كمال يليق بذات الله تعالى هو واجب له ؟

١١ — ما معنى « القدوس » ؟

١٢ — عرف صفة الوجود لله تعالى . وأقم الدليل العقلى والنقلى على اثباتها لله تعالى ؟

١٣ — ما معنى زيادة الصفة عن الذات ؟

١٤ — عرف صفة القدم لله تعالى . وأقم الدليل العقلى والنقلى على اثباتها لله تعالى ؟

١٥ — عرف صفة البقاء لله تعالى . وأقم الدليل العقلى والنقلى على اثباتها لله تعالى ؟

١٦ — عرف صفة مخالفة الله تعالى للحوادث . وأقم الدليل العقلى والنقلى على أن الله تعالى مخالف للحوادث ؟

١٧ — اذكر دليلا من النقل على أن الله تعالى ليس جسما ؟

١٨ — اذكر دليلا من النقل على أن الله تعالى ليس فى مكان بذاته . بل هو فى كل مكان بعلمه ؟

١٩ — ما معنى تأويل الصفات ؟ وكيف ترد المتشابه الى المحكم ؟ وضح كلامك بالمثال من القرآن الكريم .

٢٠ — عرف صفة القيام بالنفس لله تعالى وأقم الدليل العقلى والنقلى على اثباتها لله تعالى ؟

٢١ ــ عرف صفة الوحدانية لله تعالى . واشرح التعريف . وأقم الدليل العقلى والنقلى على اثباتها لله تعالى ؟

٢٢ ــ اذكر اضداد الصفات الآتية :

الوجــود ــ القدم ــ المخالفة للحــوادث ــ القيام بالنفس ــ الوحدانية . الوحدانية .

٢٣ ــ ما عدد صفات المعانى ؟

٢٤ ــ عرف صــفة القــدرة ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٢٥ ــ عرف صــفة الارادة ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٢٦ ــ عرف صــفة العــلم ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٢٧ ــ عرف صــفة الســمع ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٢٨ ــ عرف صــفة البصر ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٢٩ ــ عرف صــفة الحيــاة ، وأقم الدليــل العقــلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٣٠ ــ عرف صــفة الكلام النفسى ، وأقم الدليل العقلى والنقلى على ثبوتها لله تعــالى ؟

٣١ ــ بين حقيقة الكلام ؟

٣٢ ــ لمــاذا لا يطلق الكلام ذو الحرف والصوت على الله تعالى ؟

٣٣ ــ ما معنى قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) ؟

٣٤ ــ ما هو المستحيل على الله اجمالا ؟

٣٥ ــ ما هو المستحيل على الله تفصيلا ؟

٣٦ ــ ما هو الدليل العقلى والنقلى على أن الله تعالى يجب له كل كمال ويتنزه عن كل نقص ؟

٣٧ ــ ما هو الجائز فى حق الله تعالى ؟ وما هو دليل الجواز ؟

النبـــوات

تمهيـــــد :

١ ـــ لمـــا تاب الله تعالى على آدم عليه السلام واهبطه الى الأرض هو وزوجه ، ومعهما ابليس الذى أغواهما وأضلهما . قال لهما :

(أن الشيطان لكما عدو مبين) .

وصرح لهما بأنه سيرسل لبنيهم رسلا ، يكلمونهم نيابة عن الله ، بما يريده الله منهم ، والذين سيطيعون رسل الله من بنى آدم ستكون الجنـــة لهم . والذين يعصون رسل الله من بنى آدم ستكون لهم النار . ففى القرآن الكريم يقول تعالى :

(قلنا : اهبطوا منها جميعا . فاما يأتينكم منى هدى . فمن تبع هداى ، فلا خوف عليهم ولا هم يحـــزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك اصحاب النار . هم فيها خالدون) .

٢ ـــ ولمـــا خلق الله العالم ، خلقه على ترتيب محـــكم ، ونظام متقن . وجعل نظـــام العالم على ســـنة لا تتغير الى يوم القيـــامة . ثم انه يغير من نظام العالم فى حالة الدلالة على صدق رجل يدعى أنه نبيـــه ورسوله ، وذلك ليصدقه فى دعواه . فانه لمـــا دعى موسى عليه السلام أنه رســـول الله أمام فرعون فى « مصر » طلب منـــه فرعون دليلا على انه مرســـل من الله . والله تعالى فى هذا الوقت غير له نظام العصا . من جماد لا يتحرك ، الى (ثعبان مبين) فتغيير نظام العالم ولا يكون الا فى حالة ادعاء النبوة . يدل على وجود الله ، ويدل على صدق النبى فى دعواه .

٣ ـــ والنبى : هو من ينبئ عن غيب ، ويقـــع الغيب كمـــا قـــال . والرسول : هو من يؤدى رسالة من الله الى الناس . واذا وقع الغيب الذى أخبر به النبى ، يتأكد الناس منه أنه مصطفى من الله لأداء رســـالة . أو يتأكد النـــاس من وجـــود الله الذى أوقع الغيب على يديه ، للدلالة على وجـــوده .

وعلماء علم التوحيد يقولون : ان الرسول فى مسمى الشرع : هو انسان حر من بنى آدم ، اوحى الله اليه ، ولم يؤمر بالتبليغ .

فمن اوحى اليه وأمر بالتبليغ فهو رسول ونبى . ومن أوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط .

وقد أيد الله رسله بالمعجزات . أى بالأمور الخارقة لنظام الطبيعة . فأيد صالحا عليه السلام بخروج « ناقة » من جبل ، وأيد موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء ، وأيد عيسى عليه السلام بابراء الأكمة والأبرص واحياء الموتى باذن الله ، وأيد محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز فى الفاظه ومعانيه ، وقد كان أميا ، لا يقرأ ولا يكتب .

وأول نبى من بنى اسرائيل ، صاحب شريعة للناس هو موسى عليه السلام . وكان كل نبى على شريعة لا ينسخها ولا ينقضها . والذى نسخ التوراة ونقض أحكامها عن أمر الله تعالى هو محمد صلى الله عليه وسلم وسيظل دينه الى يوم القيامة . ولم يقض الله علينا عدد الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم . وانما قال : (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك . منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .

وقص علينا اسماء خمسة وعشرين . هم : ١ — آدم ٢ — وادريس ٣ — نوح ٤ — وهود ٥ — وصالح ٦ — ولوط ٧ — وشعيب ٨ — وابراهيم ٩ — واسماعيل ١٠ — واسحق ١١ — ويعقوب ١٢ — ويوسف ١٣ — موسى(١) ١٤ — وهرون ١٥ — وأيوب ١٦ — داود ١٧ — وسليمان ١٨ — ذو الكفل ١٩ — الياس ٢٠ — اليسع ٢١ — يونس ٢٢ — زكريا ٢٣ — يحيى ٢٤ — عيسى ٢٥ — محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

---

(١) كان يوسف وبنو اسرائيل يعيشون فى شرق الدلتا ، من « فاقوس » الى بحيرة المنزلة . وكانت « صان الحجر » عاصمة « مصر » فى ذلك الزمان . وفرعون الذى خرج موسى ببنى اسرائيل فى عهده كان هو آخر الفراعنة ، وآثار موجودة فى « صان الحجر » ومن بعده صار ارث الأرض لبنى اسرائيل . لقوله تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم . كذلك وأورثناهم بنى اسرائيل) .

ويجب الايمان بأن الله أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . ومن ينكر أن الله ارسل رسلا ، يكون كافرا . لقوله تعالى :

(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه . والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين احد من رسله) .

وأولو العزم من الرسل خمسة . هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد — عليهم السلام — وقد لقبهم الله بأولى العزم لأنهم صبروا على قومهم ، وتحملوا المشاق اكثر من غيرهم .

ويجب الايمان بالكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن . وهى صحف ابراهيم وتوراة موسى ، وزبور داود ، وانجيل عيسى . أما صحف ابراهيم فهى غير موجودة ، وقد كان فيها أن الله واحد ، وأنه يبعث من فى القبور ، وأنه سيجزى كل انسان بعمله . وأما توراة موسى فقد كانت (موعظة وتفصيلا لكل شىء) وقد حرفها الربانيون والأحبار بتغيير الفاظ فيها ومعانى فى مدينة « بابل » ومن بعد ذلك الزمان حرفوا الزبور باللفظ والمعنى . وبعد ثلاثة قرون من حياة عيسى عليه السلام حرف النصارى الانجيل باللفظ والمعنى . والمسلم لا يؤمن بأن كل ما فى هذه الكتب صحيح ، بل يؤمن بأن فيها حق وباطل . لقوله تعالى : (نسوا حظا مما ذكروا) .

الواجب للرسل اجمالا وتفصيلا

ويجب للرسل اجمالا : كل كمال بشرى . كالعدل والصبر والقناعة والشجاعة ويجب لهم تفصيلا : أربع صفات وهى :

١ — الصدق ٢ — والأمانة ٣ — والتبليغ ٤ — والفطانة .

١ — صفة الصدق

فالصدق : هو مطابقة خبر الرسل للواقع . أى لا يكذبون فى أقوالهم .

(ا) والدليل العقلى على وجوب الصدق للرسل :

ان الله صدقهم بالمعجزات ، ولو جاز عليهم الكذب ، ما صـــدقهم الله تعـــالى .

(ب) والدليل النقلى على وجوب الصدق للرسل :

قوله تعالى : (وصدق الله ورسوله) .

٢ ــ صـــفة الأمـــانة

والأمانة : هى حفظ الله ظواهر الرســـل وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ، فلا يتركون مأمورا به ، ولا يفعلون منهيا عنه .

(ا) والدليل العقلى على وجوب الامانة للرسل :

ان الله أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم ، ولو جازت عليهم الخيانة ، ما أمرنا الله باتباعهم .

(ب) والدليل النقلى على وجوب الأمانة للرسل :

قوله تعالى عن صالح عليه السلام أنه قال لقومه : (انى لكم رسول امين) .

٣ ــ صـــفة التبليـــغ

والتبليغ : هو ايصـــال الرسل جميع ما أمرهم الله بتبليغـــه الى من أرسلوا اليهم .

(ا) والدليل العقلى على وجوب التبليغ للرسل :

ان كتمان شىء مما أمروا بتبليغه ، يعد خيانة ، ومضيعة لفـــائدة الرسالة ، والخيانة مستحيلة على الرسل ، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ .

(ب) والدليل النقلى على وجوب التبليغ للرسل :

قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من النـــاس . ان الله لا يهـــدى القـــوم الكافرين) .

٤ ـ صفة الفطانة

الفطانة : هى ذكاء العقل ، وسرعة الادراك وحضور البديهــة وقوة الحجــة .

(أ) الدليل العقلى على وجوب الفطانة للرسل :

أنهم أرسلوا لهداية الخلق بالحجج المقنعــة ، ولو لم يكونوا فطناء ، ما قدروا على اقامة الحجج ، ورد شبه المنكرين .

(ب) والدليل النقلى على وجوب الفطانة للرسل :

قوله تعالى : (قالوا : يا نوح . قد جادلتنا ، فاكثرت جدالنا) .

المستحيل على الرسل اجمالا وتفصــيلا . ودليــله

يستحيل على الرسل اجمالا : كل نقص بشرى ، يخل برسالتهم ، أو يؤدى الى نفرة الناس عنهم . كالظلم ونقض العهد ، والجنون والبرص . وما شابه ذلك . ويستحيل عليهم تفصيلا : ١ ــ الكذب ٢ ــ والخيــانة ٣ ــ والكتمان لشىء مما أمروا بتبليغه ٤ ــ والبلادة .

(أ) والدليل العقلى على استحالة هذه الصفات الذميمة على الرسل :

أن هذه الصفات نقائص تخل بالرسالة وتضيع فائدتها . وكل ما يخل بالرسالة ويضيع فائدتها ، يستحيل على الرسل .

(ب) والدليل النقلى على استحالة هذه الصفات الذميمة على الرسل :

قوله تعالى (وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيــار) وقوله : (وكل من الأخيــار) .

ما يجوز فى حــق الرسل ودليــل الجــواز

تجوز على الرســل الأعراض البشرية ، التى لا تؤدى الى نقص فى حقهم ، أو الى نفرة الناس عنهم . كالأكل الطعــام والمشى فى الأســواق . ويجــرى عليهم ما يجــرى على سائر البشر فى الحياة ومن بعــد الموت . لقوله تعالى :

(وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين . ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء . واهلكنا المسرفين) .

وقد قتل بعضهم . فقد قال تعالى : (ويقتلون الأنبياء بغير حق) وقتل بعض أتباعهم . فقد قال تعالى :

(وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير . فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين) .

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمومها وختمها للرســالات

لمــا حرف علماء بنى اسرائيل شريعة التوراة التى ائتمنهم عليها الله عز وجل ، وقصروها على جنسهم وقالوا ـــ كما حكى الله عنهم ـــ : (ليس علينا فى الأميين سبيل) عم الظلم وســـاد الجهل ، حتى عبد الناس الأصنام وقربوا لها القرابين . وانحط العقل الى مستوى الجاهلية الأولى . ومن أجل ذلك أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم للعرب وللعالم بالقرآن الكريم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد . الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) وجعل شريعته للانس والجن الى يوم القيامة . ومن لا يؤمن به ويعمل بشريعته فهو من (الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

(أ) والدليل العقلى على ان محمدا رسول الله :

هو ١ ـــ أنه ادعى الرســـالة ٢ ـــ واظـــهر الله على يديه كثـــيرا من المعجزات ، تصديقا لدعواه ، فيكون محمد رسولا حقا .

١ ـــ أما أنه ادعى الرسالة : فهذا مؤكد من كتب التواريخ .

٢ ـــ وأما أنه اظهر المعجزات : فان الله تعالى قـــد أيده بالقرآن الكريم المعجز فى لفظه وفى معناه مع انه كان أميا . وتحـــدى العرب والعالم أن يأتوا بمثله . فعجزوا . وعجزهم هو دليل على صدق نبوته . لأنه كان أميا غير قارىء وكاتب .

(ب) والدليل النقلى على ان محمدا رسول الله :

(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا . فاتوا بسورة من مثـــله . وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) .

ويرى فريق من العلماء : أن الله تعالى قد أيد محمدا بمعجزات حسية غير القرآن منها : انشقاق القمر وحنين الجــذع وكلام العنب وغيره لقوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) فانشقاق القمر هو معجزة حسية ، قد رآها بعض الكفار رأى العين . وبعض العلماء يؤول انشقاق القمر بأنه مجاز عن وضوح أمر الاسلام كوضوح نور القمر فى ظلام الليــل . ويمنع المعجزات الحسية لقوله تعالى :

(وقالوا : لولا انزل عليه آيات من ربه . قل : انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب ، يتلى عليهم ؟) .

ويرى بعضهم : أن الممنوع من المعجزات التى اقترحتها قريش خاصة . كقلب جبل الصفا ذهبا ، وتنحية الجبال عن مكة ليزرعوا .

ومن الأدلة على رسالة : أنه مذكور فى التوراة وفى الانجيل . لقــوله تعالى :

(محمد رسول الله . والذين معه أشــداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا ســجدا يبتغون فضــــلا من الله ورضــوانا . ســيماهم فى وجوههم من اثر الســجود . ذلك مثلهم فى التــوراة . ومثلهم فى الانجيل : كزرع اخــرج شــطئه ، فآزره ، فاستغلظ فاســتوى على سوقه يعجب الزراع) .

أسئلة

١ — من هو النبى ؟ ومن هو الرسول فى مسمى الشرع ؟

٢ — ما معنى المعجزة ؟

٣ — كم عدد الأنبياء الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم ؟

٤ — ما حكم من ينكر الرسل ؟ وما الدليل النقلى على وجوب الايمان بالرسل ؟

٥ — ما حكم الايمان بالكتب التى أنزلها الله على بعض رسله من قبل القرآن ؟

٦ — ما الواجب للرسل اجمالا وتفصيلا ؟

٧ — عرف صفة الصدق . واقم الدليل العقلى والنقلى على وجوبها للرسل ؟

٨ — عرف صفة الأمانة ، واقم الدليل العقلى والنقلى على وجوبها للرسل ؟

٩ — عرف صفة التبليغ ، واقم الدليل العقلى والنقلى على وجوبها للرسل ؟

١٠ — عرف صفة الفطانة ، واقم الدليل العقلى والنقلى على وجوبها للرسل ؟

١١ — ما هو المستحيل على الرسل اجمالا وتفصيلا ؟ وما دليل الاستحالة من العقل والنقل ؟

١٢ — ما الجائز فى حق الرسل ؟ وما دليل الجواز ؟

١٣ — لماذا أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب والأمم بالقرآن الكريم ؟

١٤ — ما هو الدليل العقلى على أن محمدا رسول الله ؟

١٥ — ما هو الدليل النقلى على أن محمدا رسول الله ؟

١٦ — ما الفرق بين معجزة القرآن وبين المعجزات الحسية ؟

السمعيات

السـمعيات :

هى الأمور التى لا تؤخذ الا بالسماع من الصـادق ، ولا يستقل العقل بادراكها .

طريقة ثبوتها :

وطريق ثبوتها : القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة المفسرة للقـرآن الكريم .

ومن السمعيات التى يجب الايمان بها :

البعث من الأموات ، والثواب والعقاب .

البعث من الأمـوات

بعدما يموت الانسان ويقبر ، وتتحلل اجـزاء جسده فى التراب . يعيد الله القادر على كل شىء اجـزاء جسده ويرد اليـه روحه ، ويصير حيـا مرة ثانية ، كما فى الدنيا . وذلك فى يوم القيامة . ثم يحاسبه الله تعـالى على كل ما عمل ، ويعطيه جزاءه . ولا خـلاف بين المسلمين فى ذلك(١) . لقوله تعالى :

(كيف تكفرون بالله ؟ وكنتم أمواتا فاحيـاكم ، ثم يميتكم ، ثم اليـه ترجعون) .

فالموت الأول : هو اننا كنا فى حالة العدم من قبل ان نولد من بطون أمهاتنا . والحياة الأولى : هى حياة الدنيا . والموت الثـانى . هو ما بعده القبر . والحيـاة الآخرة : هى حياة يوم القيـامة . ومثل هذه الآية :

---

(١) لم يتعرض المنهج المقرر للمساءلة فى القبر والنعيم او العـذاب فيه . وذلك لعدم اجماع المسلمين على المساءلة فى القبر والنعيم او العـذاب فيه (انظر مقدمة المحلى لابن حزم . والروح لابن قيم الجوزية . والأرواح العالية والسافلة لفخر الدين الرازى — وهو الجزء السابع من كتـاب الكبير المسمى بالمطالب العالية من العلم الالهى) .

(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) .

فالبعث : هو احياء الله الموتى واخراجهم من القبور ، بعد جمع اجزائهم الأصلية .

(أ) الدليل العقلى على امكان البعث :

أن أجزاء الميت قابلة للاعادة والتأليف والحياة . والله تعالى عالم بأجزاء كل بدن ، وقادر على اعادته وتأليفه ورد روحه اليه . كما قدر على خلق الانسان فى البدء ولم يك شيئا . والقادر على الخلق الأول يكون قادرا على الخلق الثانى .

(ب) الدليل النقلى على امكان البعث :

هو قوله تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

(جـ) الدليل على وقوعه بالفعل :

هو احياء أهل الكهف من بعد موتهم ، واحياء الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها . والايمان بالبعث واجب . ودليل الوجوب : قوله تعالى (وأن الله يبعث من فى القبور) ومنكر البعث : كافر .

وحكم الايمان بهما

ان كل عمل قد عمله الانسان فى الحياة الدنيا ، سوف يحاسب عليه فى يوم الدين . لقوله تعالى :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

وقد وعد الله الطائعين بالجنة ، وأوعد العاصين بالنار . فقال تعالى :

(تلك حدود الله . ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها . وله عذاب مهين) .

والذى ينكر ان فى الآخرة ثواب وعقاب ، يكون كافرا ، لانكاره أمـرا معلوما من الدين بالضرورة . والعقاب من الله : عدل . لأن العصـاة خالفوا باختيارهم أمر الله ونهيه ، فاستحقوا العقاب بالمخالفة . وذلك لقـوله تعـالى :

(فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون) .

واما الثواب : ففضل من الله تعالى بقوله :

(قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا . هو خير مما يجمعون) .

وفائدة الطاعات : ترجع الى الفرد والى المجتمع ، لا الى الله نفسه . وذلك لقوله تعالى :

(ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب لعلكم تتقون) .

والنعيم فى الجنة يكون نعيما حسيا للروح والجسد ، والعـذاب فى النار يكون عذابا حسيا للروح والجسد . خلافا للفلاسفة القائلين بأنه للروح دون الجسد ، كما يحـدث فى الرؤى والأحـلام . والدليل على ذلك : قوله تعالى :

(كلما نضجت جلودهم ، بدلناهم جلودا غيرها ، ليذقوا العذاب) .

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار . كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا . قالوا هذا الذى رزقنا من قبـل . واتوا به متشابها . ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) .

ونختم كتابنا هـذا بقوله تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بايمانهم . تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم . دعواهم فيها : سبحانك اللهم . وتحيتهم فيها : سلام . وآخر دعواهم : أن الحمد لله رب العالمين) .

صححه

محمد حجازى السقا

أسئلة

١ — ما هى السمعيات ؟ وما طريق ثبوتها ؟

٢ — عرف البعث . واستدل على امكانه بدليل العقل والنقل ؟

٣ — ما حكم الايمان بالبعث ؟ وما هو دليل الحكم ؟

٤ — ما حكم من أنكر امكان البعث ، او وقوعه ؟

٥ — اذكر الدليل على ان كل عمل قد عمله الانسان فى الحياة الدنيا ، سوف يحاسب عليه فى يوم الدين ؟

٦ — ما الفرق بين الوعد وبين الوعيد ؟

٧ — ما حكم الذى ينكر أن فى الآخرة ثوابا وعقابا ؟

٨ — ما معنى أن العقاب عدل ؟ وما معنى أن الثواب فضل ؟

٩ — على من ترجع فائدة الطاعات ؟

١٠ — ما الدليل على أن النعيم أو العذاب للجسد والروح ؟

موضوعات الكتاب

رقم الايداع ٥٦٨٢/١٩٩٣

دار عطوة للطباعة
٩ شارع المقاولين بجنينة ناميش